مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد السادس عشر - محرم - ربيع الأول ١٤٢٧هـ فبراير - إبريل ٢٠٠٦م

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة
المملكة العربية السعودية
١٤١٨هـ ١٩٩٧م

١٦

- علاقة المسلمين بالقبائل المحيطة بالمدينة في العهد النبوي
- الخصائص الطبيعية لموقع معركة بدر وأثرها في أحداث الغزوة
- طريق جيش المسلمين إلى بدر
- طريق جيش المشركين إلى بدر
- الآثار الأمنية لغزوة بدر

التوثيق الميداني
- إصدار خاص -
غزوة بدر

(الاستراتيجية في غزوة بدر)

د. أنور ماجد عشقي

مدير مركز الشرق الأوسط للدراسات الاستراتيجية والقانونية بجدة

قد يتسأل البعض عندما نتحدث عن التوثيق الشفوي الاستراتيجي لماذا أقحمنا هذا **المصطلح في سيرة المصطفى ﷺ رغم أنه يوناني** النشأة ؟ إن من يتتبع سيرة الرسول ﷺ يوقن أنه الأساس للفكر الاستراتيجي لأن الاستراتيجية , بمعناها البسيط: هي توظيف كافة الإمكانات والتنسيق فيما بينها للوصول إلى الهدف .

فالرسول ﷺ سبق بفعله كل المصطلحات , ومن الأمثلة على ذلك ما ذكرته بعض المصادر من أن نابليون هو أول من جمع الرماة في كتلة واحدة أي مجموعة واحدة, ولكن الحقيقة الثابتة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والروايات التاريخية أن نبينا ﷺ هو أول من جمع الرماة في مكان واحد وذلك في غزوة أحد الشهيرة.

وقد أستفاد نابليون من غزوات الرسول ﷺ لكن الحصيلة الإيمانية الضئيلة التي عنده هي التي جعلته يهزم.

وحينما انكسر العرب في حرب ١٩٦٧م, كتب موشي ديان إلى ولد هارت الملقب بأبي الاستراتيجية قائلاً له: إن سبب انتصار اليهود على العرب أنهم قرؤوا ووعوا مؤلفاتك العسكرية وإن السبب في هزيمة العرب أنهم لم يقرؤوا مؤلفاتك ومن قرأها لم يفهمها.

وأنا أقول : **أن العرب لم يقرؤوا سيرة النبي ﷺ بعين بصيرة وعقل مستنير** وفي سيرة النبي ﷺ الجواهر الثمينة, فهو أول من وضع الهدف الاستراتيجي الأعلى, ويبدوا هذا واضحاً في الآيات الأولى التي نزلت على النبي ﷺ : ((اقرأ باسم ربك الذي خلق .....))[1] الآيات,. فقد كانت دعوة إلى الذات لتنقل النبي ﷺ من الأيمان بالفطرة إلى الإيمان بالوحي, ثم اتسعت الدائرة فنزل قوله تعالى ((وأنذر عشيرتك الأقربين))[2], فجمع عشيرته بني هاشم ثم قال لهم : كلمة واحدة تحكمون بها العرب وتقودون بها العجم, فقال له أبو لهب: والله لا نطيق ذلك, وهذا الهدف الاستراتيجي الذي جاء به النبي ﷺ هو أعلى وأفضل هدف على ظهر البسيطة فالكل يخدمه ويقدم في سبيل التضحيات, بينما نجد أنه منذ ثلاثين عاماً في مركز دراسات راند لبرشن بأمريكا ذكر أحد الباحثين أن الهدف الاستراتيجي الأعلى لأمريكا قاصر, وذلك لأنهم حصروه في الأمن

---

١ العلق : آية ١

٢ الشعراء : ٢١٤

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

القومي, واذا نظرنا بعقل استراتيجي إلى سيرة النبي ﷺ لرأينا كل خطوة يفعلهاﷺ تمثل عملاً استراتيجياً وفكراً استراتيجياً.

فقد كان في مكة يهتم ببناء الفرد قبل بناء الأمة ويعده أخلاقاً وعقيدة وسلوكاً, وحينما وصل المدينة المنورة بدأ ببنا الأمة, فكله بناء الفرد ثلاثة وعشرين عاماً بينما لم يكلفه بناء الأمة سوى تسع سنوات وتسعة أشهر وتسعة أيام, وكان أول ما بدأ به المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار, ثم بنى المسجد النبوي الشريف, ثم بدأ بالبناء الديني والاجتماعي والاقتصادي والتجاري من خلال الصحيفة التي أصدرها, وكانت تحمل اثنين وأربعين مادة دستورية.

ولم يغفل النبي ﷺ **عن الجانب الأمني للمدينة المنورة** والتي من الممكن أن تأتي قوة من العداء فتدمر هذا الكيان, لهذا كان يبعث سراياه, فكانت تلك السرايا بمثابة فرق استطلاعية, الهدف منها التعرف على الأرض والقبائل حول المدينة وتوثيق العلاقات معها, بالإضافة إلى إرجاف الكفار وتخويفهم.

ثم كانت غزوة بدر, ولم يكن النبي ﷺ قاصداً الحرب فيها, وإنما خرج لأجل عمل استراتيجي, وهو : **فرض حصار اقتصادي على قريش**, ولا يخفى أن حضارة قريش مبنية على الاقتصاد, بل إن الدين عندهم كان مبنياً على الاقتصاد, فقد جعلوا العرب يأتون بثلاثمائة صنم إلى مكة من اجل أن ياتي هؤلاء لزيارة هذه الأصنام فينتفعوا بمالهم.

وكان الهدف من توزيع الشرف بين القبائل المكية كالرفادة والسقاية وغيرها اقتصادياً من الدرجة الأولى, كما هو الحال بالنسبة للعولمة الحديثة, بينما نجد أن جوهر الحياة عند المسلمين هو الأيمان بالله.

وخرجت قريش بعدة كاملة جاهزة للقتال, ولها أهداف عسكرية كثيرة أهمها:

القضاء على النبي ﷺ وعلى المسلمين, وحفظ شخصية قريش معنوياً أمام العرب, وكان أمام النبي ﷺ خياران إما الانسحاب واما المواجهة.

أما خيار الانسحاب فإنه يؤدي إلى تهوين أمر المسلمين وطمع قريش وتشجيعها على مهاجمة المدينة, وأما خيار المواجهة فإنه يودي حال النصر إلى تعزيز مكانة المسلمين وهيبتهم عن قريش والعرب جميعاً لذلك آثر المواجهة.

وقبل المواجهة مع العدو الخارجي, **توجه النبي ﷺ إلى الجهة الداخلية** يدعم كيانها, فقد كانت بنود بيعة العقبة الثانية تشير إلى أن دفاع الأنصار عن الرسول ﷺ منحصر داخل المدينة[٣], أما خارج المدينة فالوضع مختلف, لذا توجه النبي ﷺ إلى أصحابه يستشيرهم ويطلب صراحة موقف الأنصار[٤] وهذه هي قمة العدالة منه ﷺ وهو أعدل الناس.

وهذا ما توصل إليه الفكر الإنساني الحديث, **حيث أكد أنه لا يمكن أن يكون ثمة انتصار حتى تحقق العدالة** مهما كانت قوة المحار وجبروته, وأن الظلم نهايته الخسران والفشل.

ولهذا كان النبي ﷺ يتحرى العدالة سواء كانت شرعية أم وضعية, كيف لا وهو الذي قال: حضر بدار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دُعيت إليه في الإسلام لأجبت[٥] (وهو الحلف الذي يسمى حلف الفضول والذي تعهد بنصرة المظلوم) فالنبي ﷺ أحترم كل قيم العدالة ولم يرفضها حتى من الجانب الجاهلي مادامت لا تعارض الوحي الإلهي.

وقد ذكر الأستاذ / محمد حسنين هيكل أن القائد الانجليزي الذي هزم رومل الملقب يثعلب الصحراء في حرب العلمين الشهيرة جاء لزيارة العلمين فساله كيف يمكن لقوة أن تنتصر ؟ قال له : بالعدالة, **فلابد للجنود أن يقتنعوا بانهم يحاربون من أجل قضية** عادلة, ولابد أن يقتنع الشعب كذلك أنه يحارب من أجل قضية عادلة, ولابد للعالم كذلك أن يكون مؤيداً لهذه القضية.

واليوم وعلى الرغم من أمريكا استطاعت إسقاط بغداد بقوة السلاح إلا أنها تورطن في مشاكل عديدة بسبب عدم عدالة قضيتها, ونبينا الكريم **هو أول من اهتم بعدالة القضية**, استمع إلى رأي الأنصار, ورأى موافقتهم الصريحة على القتال, واقتناعهم بعدالة قضيتهم, فسر بذلك ووعدهم بالنصر, وبدأ باتخاذ التدابير لتحقيق الأهداف المرجوة, وهذه الهداف منها ما هو قصير المدى ومنها ما هو بعيد المدى, وأهداف الإسلام عالمية وليست عولمية, لأن العولمة تريد احتلال العالم ثقافياً وحضارياً و اقتصادياً, بينما النبي ﷺ جاء بشيراً ونذيراً للعالمين يريد أن يدخل جميع العالم في الجنة وينقذهم من الجهل والتخلف والضياع.

---

٣ أنظر ابن هشام ٢ / ٢٥٣

٤ المرجع السابق نفسه

٥ أصل الحديث عند البيهقي في السنن, باب إعطاء الفيء على الديوان ومن يقع به البداية ٦ / ٣٧٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وإذا ما تأملنا غزوات النبي ﷺ **لرأينا في كل غزوة مدرسة استراتيجية** خاصة, فغزوة بدر كانت إيمانية المحور, لذلك رفض النبي ﷺ من أحد المشركين القتال معه حتى أسلم[٦], وأما غزوة أحد في مدرسة في المهارات التكتيكة, وأما غزوة الخندق فهي مدرسة في المهارات الدفاعية. بينما غزوة الحديبية مدرسة في قوة السلام, وإذا ما تم عرض هذه الغزوات بالطريقة الصحيحة فإن البشرية جمعاء سوف تنتفع بها.

ومن هنا فإن عبد الرحمن الغافقي لم يستفد من غزوة بدر فهزم في معركة بلاط الشهداء بسبب اختلاف الدين, أما قريش فكانت تريد تقوية معنويات أفرداها بالطبول والدفوف والشعر, لكن النبي ﷺ ركز على القوة الإيمانية مع دراسة متأنية ودقيقة, يبث العيون, ويحصي أعداد المشركين وقوتهم, حتى أوقع الرهبة في قلوبهم, واستفاد منه المسلمون معلومات دقيقة.

وبعد أخذ النبي ﷺبجميع الأسباب الممكنة جاء التسديد المعنوي من الله سبحانه وتعالى, وهكذا إذا أخذ المسلم بالأسباب فإن الله يسدد ما نقص, فالنبيﷺ عندما ذهب إلى غار ثور كان قد التمس كل الأسباب من اختيار الغار والاختفاء والتمويه, ولم يبق إلا بقية باقية, فجاء اللطف الإلهي فأمر العنكبوت أن تنسج خيوطها, ولما وقف أبو جهل على باب الغار قال: والله إنهما لفي هذا الغار, فقال أحدهم : إن على هذا الغار بيتاً للعنكبوت بني قبل أن تولد يا أبا جهل .

ولما رأى الله عز وجل الخوف في قلوب بعض الصحابة كما قال سبحانه **﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾**[٧] تدخل بالنصر, ووعدهم بإحدى الطائفتين, وأنزل الأمن عليهم, فغشيهم النعاس فناموا ولم يبق إلا رسول ﷺ يحرسهم, ثم أرسل عليهم الأمطار الخفيفة فاستيقظوا أشداء مطمئني إلى نصر الله عزوجل, وهناك فرق بين الأمن والطمأنينة, فالطمأنينة تتعلق بالقلب, بينما يتعلق الأمن بالمشاعر, ولو تأملنا الآيات القرآنية لرأينا آن الله عز وجل كلما ذكر الطمأنينة ذكر معها القلب قال تعالى **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾**[٨].

وكان من عادة العرب في المعارك أنهم يقفون أمام بعضهم, ثم تبدأ المعركة ما بين كر وفر, أما النبي ﷺ فاستخدم تكتيكاً آخر حيث رص الصحابة في صفوف لتعويض الفرق

---

٦ انظر الخبر في صحيح مسلم, كتاب الجهاد والسير, باب كراهة الاستعانة في الغزوة بالكافر ٣ / ١٤٤٩.

٧ الأنفال : آية ٦

٨ الرعد : آية ٢٨

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في ميزان القوى بينه وبين المشركين, لأن الرص بين الصفوف يوفر قوة احتياطية عند القائد يلجأ إليها عند حدوث أي خلل, وهذه القوة يمكن الاستعانة بها لرتق الخلل أو الالتفاف على الأعداء, وهذه الاستراتيجية يأخذ بها العلم الحديث.

ومن الأمور المبدعة التي عملها النبي ﷺ في هذه الغزوة ولم تعهدها العرب **قبل هو وضعه لمركز القيادة,** حيث بني العريش في مكان آمن يشرف منه القائد على المعركة ويسيطر على مجريتها.

ومن الأمور المبدعة أيضاً أنه ﷺ **استطاع أن يحيد سلاح الفرسان** وذلك حين أمر الصحابة أن يبقوا في أماكنهم فاذا غشيهم المشركون رموهم بالنبل.

وكان الرسول ﷺ يعلم أهمية الرمي ويقول دائماً : ((ألا إن القوة في الرمي))[٩], ويعتبر الرمي في العصر الحديث من الأسناد الهام في المعارك.

وأخيراً : لو لم تكن لغزوة بدر أهمية كبرى لما أطلق الله عز وجل عليها اسم الفرقان, فهي فرقان بين الحق والباطل, فرقان بين الفكر العسكري والفكر الاستراتيجي, وفرقان بين كثير من الأمور.

نحمد الله أن جعلنا مسلمين, وأن جعلنا من أتباع هذا النبي الأمين, صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

٩ صحيح مسلم باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه ٣ / ١٥٢٢.